Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أو ما يدعى عند البلاغيين التقليدين بالإغراق ، فى قول امرئ القيس يصف أنفاس صاحبته عند النهوض من النوم :

كأن المدام وصوب الغمام وريح الخزامى ونشر القطر
يعل به برد أنيابها إذا غرد الطائر المستحر

لم ير المصنفون المحدثون فى البلاغة العربية إلاّ ما رآه القدماء التقليديون من قول بالإغراق الذى يتجاوز المبالغة ، حين انتهوا إلى « معنى » – مجرد معنى – أن فمها طيب الرائحة فى وقت تتغير فيه روائح الأفواه ! ! فاقرأ إذن قول مصطفى ناصف عن هذين البيتين : « جعل امرؤ القيس رائحة فمها جزءاً من نفس الصبح وموسيقاه وبهجة الشعور بالحياة ، فأين هذا كله من رداءة المبالغة التى يضل الآخذ بها ؟ » (٥١)

وإذا كان الاهتمام العام بين البلاغيين قد اتجه إلى المجاز اللغوى ، بل انصرف مفهوم الصورة البيانية إليه أصلا ، إلى التشبيه بتبعية مفهوم الاستعارة له كما يتوهمون ، فإن إهمال المجاز العقلى أمر يفتقد التبرير المقنع ، وإذا كان الظن الذى أخذ عندهم صفة الثبات أن المتكلم لا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلاّ إذا ضاقت به الحقيقة (! !) فإن هذا أمر يثير الدهشة حقًّا لحضارة كان أعظم ماخلفت هو فنها الشعرى الذى آثر المجاز عن رحابة لاعن ضيق . وإذا كان المجاز فى ظنهم لا يلجأ إليه إلاّ لثلاثة معان هى الاتساع والتوكيد والتشبيه ، فقد أهمل التصوير الذى ليس تشبيهاً بالحد البلاغى فما القول فى صورة « واسأل القرية » ، وفى صورة « وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم » وفى صورة « يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت » ؟ هذه بعض صور صنعها المجاز العقلى ، وركبت على هذا النحو لتلائم متطلبات مشهد وطبيعة وموقف ، وتكشف طوايا ومشاعر ، فليس السر فى تقدير المحذوف لتصحيح الإسناد ، ليس الهدف أن نكتشف ما قرينة العدول عن إسناد الشىء لما هو له فى العرف أو بالعقل ، وإنما الهدف أن نتساءل حول أسباب هذا العدول ، بل أن نتساءل : هل حدث عدول حقًّا عن تعبير آخر لمعنى بلاغى ، أو أن الصورة والمعنى لا يمكن التعبير عنهما « فنيًّا » بغير هذه الطريقة ؟

---

(٥١) الصورة الأدبية ص ٦٣ .